القيم: مفهومها، مكوناتها، تمييزها عن بعض المصطلحات المشابهة لها

نور الدين البختي

طالب باحث في سلك الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الخامس بالرباط

تكوين الدراسات الإسلامية وقضايا المجتمع المعاصر

الدكتور سعيد هلاوي.

المقدمة

تُعدّ القيم بمثابة البوصلة المعيارية التي توجّه السلوك البشري وترسم ملامح الفرد داخل المجتمع. وقد شهد المفهوم التاريخي للقيم انتقالاً محوريّاً من الدلالات المادية الصرفة المرتبطة بالثبات والدوام والاستقامة، إلى دلالات معنوية تجريدية تعنى بما تنطوي عليه الأشياء والظواهر من أبعاد الخير والجمال والفضيلة. وتكتسب دراسة القيم مكانة عالية لكونها لا تمثل مجرد شعارات نظرية، بل منظومة وثيقة الصلة بالأبعاد المعرفية والوجدانية والسلوكية التي تتداخل لتشكيل النسيج الحضاري وإقامة العمران البشري. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى سبر أغوار هذا المفهوم من خلال تتبع جذوره اللغوية والاصطلاحية، وتفكيك أبعاده البنيوية، فضلاً عن رسم حدود فاصلة تميزه عن تداخلات المصطلحات المشابهة له والقريبة من قبيل الأخلاق والاتجاهات والحاجات.

إشكالية البحث

على الرغم من الأهمية المحورية للقيم باعتبارها ركيزة للسلوك وموجها للمواقف الشخصية، إلا أن هذا المفهوم يعاني من تداخل مفاهيمي واضح وضبابية حدية في الأدبيات التربوية والنفسية والاجتماعية؛ فكثيرا ما يُخلط كثيراً بين القيم وبين مفاهيم أخرى تتقاطع معها في بعض المظاهر وتختلف عنها في الجوهر والأبعاد. وتتجسد هذه الإشكالية في السعي نحو الإجابة عن التساؤل المركزي الآتي: ما حقيقة مفهوم القيم وبنيته، وكيف يمكن تمييزه بدقة عن المصطلحات المشابهة له (الخُلُق، الاتجاه، والحاجة)؟ ينبثق عن هذا التساؤل المحوري الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما هو المدلول اللغوي والاصطلاحي للقيم؟
2. مما تتكون البنية المفاهيمية للقيمة وكيف تتكامل أبعادها المعرفية والوجدانية والسلوكية؟
3. ما هي الحدود الفاصلة وأوجه التمايز بين القيمة والمفاهيم القريبة لكل من الخُلُق والاتجاه والحاجة؟

أهداف البحث

يسعى البحث بالدرجة الأولى إلى تحقيق الأهداف العلمية والمنهجية الآتية:

- تأصيل مفهوم القيم: من خلال تقديم إطار نظري لتعريف القيم عبر رصد تطورها اللغوي والاصطلاحي.
- تفكيك البنية الثلاثية للقيمة؛ من خلال شرح المكونات المعرفية والوجدانية والسلوكية المكونة للقيمة وإبراز علاقة الترابط الوظيفي والخلل الناتج عن انفصالها.
- رفع اللبس عن المفاهيم القريبة من القيمة: إرساء قواعد علمية واضحة للتمييز بين القيم والمصطلحات المشابهة (الأخلاق، والاتجاهات النفسية، والحاجات البيولوجية والاجتماعية) من حيث الشمولية، والثبات، والغاية.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في اعتبارات نظرية وتطبيقية وهي:

- الأهمية النظرية: تقديم دراسة مفاهيمية مقارنة تسهم في إزالة اللبس والغموض الدلالي حول مصطلح "القيم" والمصطلحات المجاورة له.
- الأهمية التطبيقية: خدمة حقل التربية على القيم؛ من خلال إيضاح أن صياغة القيم لدى الأفراد تتطلب استهداف منظومة كاملة تجمع بين الوعي الفكري والتحفيز الوجداني والممارسة السلوكية، وهو ما يفيد واضعي المناهج التربوية في بناء برامج جيدة ومتكاملة الأركان.

المنهج المعتمد

اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بالإضافة إلى الاستعانة ب المنهج المقارن:

- المنهج الوصفي التحليلي: من خلال تتبع واستعراض التعاريف اللغوية والاصطلاحية ومكونات القيمة، مع تحليل هذه النصوص واستنتاج الخصائص البنيوية والروابط العضوية المشكلة لماهية القيم.
- المنهج المقارن: تم استخدامه بوضوح في المطلب الثالث لترسيم الفروق والمقابلات بين القيمة" والمفاهيم المجاورة من قبيل: الخلق والاتجاه والحاجة، عبر مقارنة عناصر الثبات، والعموم، والمصدر، والغاية لكل مصطلح على حدة.

تصميم البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة؛ تناولت في المطلب الأول تعريف القيم لغة واصطلاحا، أما في المطلب الثاني فبينت مكونات القيمة الثلاثة (الجانب المعرفي، الجانب الوجداني، الجانب السلوكي)، في حين قمت في المبحث الثالث والأخير بتمييز مفهوم القيم عن مصطلحات مجاورة ومتداخلة معها مثل الخلق والاتجاه والحاجة. وأخيرا خصصت الخاتمة لخلاصة تركيبية، مع ذكر آفاق البحث وامتداداته.

المطلب الأول: تعريف القيم لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف القيم لغة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية التي تطرقت إلى هذا المصطلح نجد أن له معان كثيرة كما يتضح من خلال التعاريف الآتية:

- ورد في مقاييس اللغة لابن فارس: "قوم: القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعةِ ناسٍ، وربما استُعِير فى غيرهم، والآخَر على انتصابٍ أو عَزْم...فقولهم: قامَ قياماً، والقَوْمة المَرَّةُ الواحدة، إذا انتصب. ويكون قامَ بمعنى العَزيمة، كما يقال: قامَ بهذا الأمر، إذا اعتنَقَه. وهم يقولون فى الأوّل: قيامٌ حتم، وفى الآخر: قيامٌ عَزْم. ومن الباب: قوّمْتُ الشّيء تَقْويماً. وأصل القِيمة الواو، وأصلُه أنّك تُقِيم هذا مكانَ ذاك. وبلغنا أنّ أهلَ مكّةَ يقولون: استَقَمْتُ المَتاعَ، أى قوّمْتُه. ومن الباب: هذا قِوام الدين والحقّ، أى به يَقُوم.[1] "
- كما أورد الجوهري في معجمه الصحاح في اللغة معان كثيرة منها:" والقيمة: واحدة القِيَمِ، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. يقال: قومت السلعة. وأهل مكة يقولون: استقمت السلعة، وهما بمعنى. والاستقامة: الاعتدال.

1- ابن فراس، مقاييس اللغة، مادة (قوم) تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ط 2، 1972، ج 5، ص 44.

يقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: ﴿فاسْتقيموا إليهِ[1]﴾ أي في التوجُّه إليه دون الآلهة. وقومت الشيء فهو قَويمٌ، أي مُستَقيمٌ. وقولهم: ما أقْوَمَهُ، شاذٌ. وقوله تعالى: ﴿وذلك دينُ القَيِّمَةِ[2]﴾ إنما أنّثه لأنه أراد المِلّة الحنيفية. والقوامُ: العَدْلُ. قال تعالى: ﴿وكان بين ذلك قَواما[3]﴾. وقوامُ الرجل أيضاً: قامَتُهُ وحسن طوله. والقومية مثله. وقال: أيام كنت حسن القومية وقوام الأمر بالكسر: نظامه وعِماده. يقال: فلانٌ قِوامُ أهل بيته وقِيامُ أهل بيته، وهو الذى يقيم شأنهم... وقِوامُ الأمر أيضا: ملاكه الذى يقوم به، وقامة الإنسان: قدّهُ، وتجمع على قاماتٍ وقيم، مثل تارات وتير."[4]

- وفي لسان العرب لابن منظور : ": القيم هو المستقيم، والقيم: مصدر كالصغر والكبر إلا أنه لم يقل قوم مثل قوله: لا يبغون عنها حولا؛ لأن قيما من قولك قام قيما، وقام كان في الأصل قَوَمَ أو قَوُمَ، فصار قام فاعتل قِيمَ، وأما حول فهو على أنه جار على غير فعل؛ وقال الزجاج: قيما مصدر كالصغر والكبر، وكذلك دين قويم وقوام "[5].

نستنتج مما سبق أن لفظ القيم مفرده قيمة، وهو اسم هيئة مرتبط بمادة (قوم) يفيد معان كثيرة منها: الثبات والدوام والاستمرار على الشيء، وعماد الأمر، وقيمة الشيء وثمنه، والعزيمة والاستقامة والعدل والاعتدال. لكن من الملاحظ أنه أصبح يستعمل للدلالة على المنزلة والقدر؛ وهو ما يؤكده الدكتور فهمي محمد علوان من خلال قوله بانتقال معنى القيم من دلالة مادية إلى دلالة معنوية، عما في الأشياء من خير وجمال.[6]

ثانيا: القيم في الاصطلاح

لمحاولة تحديد التعريف الاصطلاحي للقيم أستعرض بعض وجهات النظر حولها:

- يعرفها المعجم التربوي قائلا: " القيم مجموعة من القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما، ويتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال ويكون لها قوة الإلزام والضرورة والعمومية ويعتبر أي خروج عليها بمثابة انحراف عن القيم الجماعة ومثلها العليا. "[7]
- أما محمد إبراهيم فيرى أن القيم هي: " مقياس أو مستوى أو معيار، نستهدفه في سلوكنا ونسلم بأنه مرغوب فيه أو غير مرغوب عنه؛ كما يرى أنها مقياس أو مستوى له ثبات واستمرار لفترة زمنية، يؤثر في سلوك الفرد تأثيرا يتفاعل مع مؤثرات أخرى لتحديد السلوك في مجال معين.[8]
- في حين يعتبرها ضياء زاهر بأنها: " مجموعة من الأحكام المعيارية، المتصلة بمضامين واقعية، يتشرَّبُها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام من جماعة اجتماعية

1- سورة فصلت، الآية 6.

2- سورة البينة، الآية 5.

3- سورة الفرقان، الآية 67.

4- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (قو م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ار العلم للملايين - بيروت، ط 4، 1987، ج 5، ص 2017.

5- ابن منظور، لسان العرب مادة (قو م)، دار صادر - بيروت، ط 3، 1414، ج 12، ص 503.

6- فهمي محمد علوان، القيم الضرورية وتعاصر التشريع الإسلامي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب،1985، ص 91

7- محمد جميل بن علي الخياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، سلسلة البحوث التربوية والنفسية جامعة أم القرى- مكة المكرمة، 1996، ص 27.

8- محمد جميل بن علي الخياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، ص 27.

معينة، تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته."[1]

- بالنسبة للدكتور ماهر محمود فإنه : " يعتبر القيم مفهوم مجرد ضمني، يعبر به الإنسان عن حكمه المفضل على سلوك معين، أو حكمه المفضل في أمر من الأمور في ضوء المبادئ والمعايير التي يضعها المجتمع الذي يعيش فيه."[2]
- يذكر علي خليل بأن القيم تعني الاتجاهات حيث يعبر عنها بقوله" : القيم اهتمامات أو اتجاهات معينة حيال أشياء أو مواقف أو أشخاص، وإن كانت في الحقيقة اهتمامات واتجاهات عامة وليست نوعية أو خاصة."[3]
- علي مصطفى أبو العينين من الذين يرون القيم عبارة عن معتقدات وهو ما عبر عنه بقوله: " القيم طبقة هامة من المعتقدات يتقاسمها أعضاء المجتمع الواحد وخاصة فيما يتعلق بما هو حسن أو قبيح، أو مرغوب فيه أو مرغوب عنه."[4]

من خلال التعريفات التي تناولت المفهوم الاصطلاحي للقيم نستنتج أنها منظومة من المعايير والمقاييس الاجتماعية والقواعد الصادرة من المجتمع، يتم اعتمدها للحكم على الأفعال والسلوكات، تُكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية والتفاعل مع المحيط. وتمثل موجهات أساسية للسلوك الإنساني؛ إذ تحدد ما هو مرغوب فيه وما مرغوب عنه داخل المجتمع، وتمكن من تمييز الحسن من القبيح، كما تَكتسب قوة الإلزام والعمومية، من خاصياتها الثبات النسبي والاستمرارية في الزمن، مع القابلية للتطور والتأثر بالتحولات الثقافية والاجتماعية. تتنوع طبيعتها بين كَونها معتقدات داخلية أي أحكاما يؤمن به الفرد، أو اتجاهات ورغبات عامة، أو مبادئ ثابتة لا تتغير بتغير الزمن، أو أحكاماً معيارية تحكم تصرفات الأفراد وتوجه مواقفهم. وبناء على ذلك، تعد الأساس الذي يقوم عليه سلوك الفرد وتحدد تصرفاته ومواقفه تجاه القضايا.

المطلب الثاني: مكونات القيمة

للقيمة ثلاثة مكونات متكاملة فيما بينها تفاصيلها كالآتي:

أولا: المكون المعرفي

المقصود معرفة معنى القيمة ودلالاتها، والقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وفهم المعايير التي تشكلها ،وذلك بانتقائها واختيارها من خلال استكشاف البدائل، ثم النظر في عواقب كل بديل، ليتم تبني القيمة المناسبة باعتماد الفكر والإدراك الواعي الحر؛ ومثال ذلك ما ورد في موسوعة منظومة القيم الكونية في القرآن الكريم: "تعد المعرفة بشتى فنونها جزءاً لا يتجزأ من بنية القيم لا تنفصل عنها، وهذا التلازم بينهما، هو الذي يمكن الإنسانية من إقامة العمران، ويعصمها من كل صور الدمار والطغيان الناتجة عن خروج المعرفة عن بنية القيم، فيتحوّل العلم بفعل ذلك عن غاياته السامية البانية. ومن حكمة الخالق البالغة أن بدأ رسالة الإسلام باختبار علاقة القيم بالمعرفة في سلوك أول جيل من أجيال البشرية (ابني آدم) قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾[5]ولم تكن القرابين التي تَقَدَّمَ بها كلا الأخوين إلا نتيجة للمعرفة المكتسبة من طرف كل واحد منهما في علاقتها بالقيم، فحين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

1- زاهر ضياء، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي كلية التربية جامعة عين شمس- القاهرة، 1984، ص 132..

2- المرجع السابق نفسه.

3- محيي الدين أحمد حسين، القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف- القاهرة، 1981، ص30.

4- علي مصطفى أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، 1998، ص 27.

5- المائدة، الآية 27..

[1]كانت التقوى عاصمة من تحويل المعرفة إلى سلطة شر في النموذج الأول، وانفصلت المعرفة عن بنية القيم في النموذج الثاني الذي قال لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ معتبراً أن الخبرة المعرفية وحدها كافية القبول العمل في انفصال عن التقوى والخوف من الله. "[2]

ثانيا: المكون الوجداني

عن فريف البحث بالمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية أن المكون الوجداني يعبر عن : " قناعات الإيمانية على اختلافها، والمشاعر والعواطف والمواقف والانفعالات جزء لا يتجزأ من بنية كل قيمة، وكما يمكن أن تكون هذه العناصر المكونة للجانب الوجداني في القيمة دافعاً وحافزاً للإنسان نحو القيام بكل ما ينفع الإنسانية ويقيم العمران، يمكن أن تكون مؤشرات دالة على ضعف منسوب القيمة لدى الإنسان حين تنحرف العواطف عن غاياتها ومقاصدها."[3]

بمعنى أن الجانب الوجداني يعتبر محركا للعواطف والمشاعر التي يطورها الفرد تجاه قيمة معينة بعد استيعابها معرفيا واختيارها. حيث لا يكفي أن يعرف الإنسان أن "الصدق" صفة جيدة (المكون المعرفي)، بل يجب أن يشعر داخلياً بالارتياح والاعتزاز عند ممارسة هذه القيمة فعليا، والنفور والضيق والإحساس بتأنيب الضمير عند القيام بعكسها أي الكذب. هذا التفاعل العاطفي هو الدافع الرئيس الذي يعطي للقيمة عمقها الروحي والإنساني.

ثالثا: المكون السلوكي

نجد في موسوعة منظومة القيم الكونية في القرآن الكريم الآتي: "أما العمل والتطبيق المتجسد في السلوك، فهو جزء لا يتجزأ من بنية مفهوم القيمة أيضاً، ويكون معززاً لهذه البنية: إن كان صالحاً نافعاً للإنسانية والعمران، أو معيقاً ومشوشاً عليها ومشوهاً لمفهومها إن كان غير ذلك."[4]

أي أن سلوك الفرد هو الممارسة الفعلية للقيمة على نحو يتسق مع فهمها معرفيا ومدى تمثلها وجدانيا، إنه مرآة للكيفية التي تم بها تمثل الذات للقيمة، فالسلوك هو النتيجة النهائية والمظهر الخارجي الملموس للمكونين السابقين؛ حيث تترجم المعرفة والعاطفة إلى أفعال ومواقف. فالفرد الذي يمتلك قيمة الإيثار لا يكتفي بالحديث عنها أو تمني الخير للناس فقط، بل يتطوع بوقته أو بماله لمساعدة غيره. السلوك هو المؤشر الحقيقي الذي يقيس مدى رسوخ القيمة وثباتها فعليا.

وردت معان رائعة في موسوعة منظومة القيم حول هذا المعنى الذي أشرت إليه : " إن بناء هذه البنية الثلاثية المتكاملة المكونة للبنية المفاهيمية لكل قيمة، التي هي: المعرفة السليمة، والسلوك العملي الوسطي المعتدل والوجدان المنضبط المحفز؛ هي صميم المجال النظري والتطبيقي للتربية على القيم، حتى تحقق غاياتها ومقاصدها وتجلياتها في حياة الإنسان وإقامة العمران."[5]

يتضح مما سبق أن القيمة هي منظومة ثلاثية الأبعاد (معرفية، وجدانية، سلوكية) تتسم بالتكامل العضوي

1- الآية نفسها

2- فريق البحث بالمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية، موسوعة منظومة القيم الكونية في القرآن الكريم أسسها المعرفية والمنهجية وتطبيقاتها الوثيقة الناظمة- المعهد الإسلامي للفكر الإسلامي - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية- ط 1- 2026، ص 59- 60.

3- فريق البحث بالمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية، موسوعة منظومة القيم الكونية في القرآن الكريم أسسها المعرفية والمنهجية وتطبيقاتها الوثيقة الناظمة- المعهد الإسلامي للفكر الإسلامي - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية- ط 1- 2026، ص 61.

4- المرجع نفسه، ص 60.

5- المرجع نفسه، ص 62.

والترابط الوظيفي، حيث يؤدي كل مكون فيها دوراً رئيسا في تشكيل الذات وبنائها؛ فالمكون المعرفي يمثل قاعدة الوعي والفكر الإنساني والبوصلة التي تمكن الفرد من التمييز الحر الواعي بين الصواب والخطأ، بتحكيم العلم الذي يتلازم مع الغايات والمثل العليا .والمكون الوجداني يمثل الطاقة المحركة للمشاعر التي تحول المعرفة الجافة إلى شحنة من العواطف الإيجابية، كالارتياح عند فعل مساعدة الغير، والنفور وتأنيب الضمير عند القيام بما يخالف أصالة القيمة مثل الكذب. والمكون السلوكي هو المحك والمؤشر النهائي والمرآة الحقيقية التي تترجم هذا الثنائي (المعرفة/الوجدان) إلى مواقف وأفعال ملموسة.

إن أي خلل أو انفصال بين هذه المكونات الثلاثة يؤدي إلى بنائي قيمي منحرف؛ فالمعرفة المنفصلة عن الوجدان الأخلاقي (التقوى) تتحول إلى سلطة شر ودمار كما تجسد في نموذج ابن آدم (القاتل)، بينما السلوك المنفصل عن الوعي والفكر يتحول إلى آلية جوفاء. ولذلك، فإن صلاح المجتمع واستمراره مرهون بالحفاظ على هذا التلاحم البنيوي، بحيث تقود المعرفة الواعية العاطفة السوية، لتثمر في النهاية سلوكاً صالحا يسهم في التطور الفكري والحضاري.

المطلب الثالث: تمييز القيمة عن بعض المفاهيم:

أولا: القيمة والخلق:

أ. الخلق في اللغة:

قال ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء. فأما الأول فقولهم: خَلَقْت الأديم للسّقاء، إذا قدرته... ومن ذلك الخُلُق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدّر عليه. وفلان خَليق بكذا، وأخْلق به، أي ما أخلقه، أى هو ممن يقدر فيه ذلك، والخَلاق: النصيب؛ لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه. وأما الأصل الثاني فصخرة خلقاء، أى ملساء... ومن هذا الباب أخْلق الشيء وخَلِقَ، إذا بلى."[1]

قال الراغب الأصبهاني:" والخَلق يقال في معنى المخلوق، والخَلق والخُلق في الأصل واحد، كالشَّرب والشِّرب، والصِّرم والصِّرم، لكن خص الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة.. والخَلاق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه وفلان خليق بكذا، أي: كأنه مخلوق فيه، ذلك كقولك: مجبول على كذا، أو مدعو إليه من جهة الخلق."[2]

أما ابن منظور فقد عرف الخلق بالآتي:" الخلق، بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلُق في غير موضع."[3]

يتضح مما سبق أن الخلق في اللغة يدل على التقدير المحكم للشيء، ومن هنا جاء معنى السجية والطبع؛ لأن الإنسان كأنه مقدر ومهيأ عليها. فالخَلق يستعمل لما يدرك بالبصر ويدل على هيئة الجسد، أما الخُلق فيستعمل لما يدرك بالبصيرة من صفات باطنة وسجايا نفسية.

1- ابن فراس، مقاييس اللغة، مادة (ق و م) ج 2، ص 214.

2- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط 1، 1413ه، ص 297.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ل ق)، دار صادر – بيروت، ط 3 ، 1414 ه ، ج 10، ص 86.

ب. الخلق في الاصطلاح:

قال الغزالي: " فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية؛ فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كانت الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا .وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ."[1]
أما الماوردي فيرى أن الأخلاق:" غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار."[2]

ويعتبر الدكتورأحمد فاروق أن الأخلاق هي:" مجموعة السلوكية التي تحدد السلوك الإنساني وتنظمه، وينبغي أن يحتذيها الإنسان فكرا وسلوكا في علاقاته الاجتماعية ومواجهة المشكلات المختلفة، والتي تمكنه من الاختيار الخلقي في المواقف الأخلاقية، والتي تبرر المغزى الاجتماعي لسلوكه بما يتفق وطبيعة الآداب والقيم السائدة في مجتمعه."[3]

نستنتج من هذه التعريفات أن الأخلاق هي هيئة راسخة في النفس البشرية تصدر من غير تكلف، أي بتلقائية وتظهر آثارها في سلوك الفرد وأفعاله، فهي حالة داخلية ثابتة؛ تحدد الأفعال طبيعتها إما حسنة أو سيئة، هي كذلك حصيلة تفاعل الصفات الفطرية داخل الإنسان والمجتمع أي تولد بالقوة وتتحقق بالفعل الإرادي؛ باعتبارها منظومة سلوكية تحدد سلوك الإنسان وتنظمه في ضوء القيم السائدة في المجتمع.

نستنتج من تعريفي القيم والأخلاق أن العلاقة بينهما هي علاقة خصوص وعموم؛ فقولنا إن للفواكه قيمة غذائية عظيمة، فإنه لا تعني أنها على خلق؛ لأن الفواكه لا توصف بأنها ذات أخلاق. ولهذا قال قدامى الفلاسفة: "إن علم القيم يتضمن علم الأخلاق وعلم الجمال؛ وعلى هذا الأساس، تكون الأخلاق أقل شمولية من القيم. "[4]

إن الالتزام بقيمة الصدق يجعلنا نحكم على الآخر بأنه صادق الخلق، أي أن الخلق هو التطبيق العملي للقيمة باعتبارها الأساس النظري.

ثانيا: القيمة والاتجاه:

أ. الاتجاه لغة:

قال ابن فارس:" الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه مستقبل لكل شيء. يقال وجه الرجل وغيره. وربما عبر عن الذات بالوجه وتقول: وجهي إليك... والوجهة: كل موضع استقبلته.[5]

ونجد في لسان العرب تعريف الاتجاه بقوله: "اتجه له رأي أي سنح، وهو افتعل، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وأبدلت منها التاء وأدغمت ثم بني عليه قولك قعدت تجاهك وتجاهك أي تلقاءك. وتجهت إليك أتجه أي توجهت لأن أصل التاء فيهما واو. ووجه إليه كذا: أرسله، ووجهته في حاجة ووجهت وجهي لله وتوجهت نحوك وإليك."[6]

1- أبو حامد الغزالي، حياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت،1982، ج 3، ص 53.

2- خالد عبد الرحمن أحمد، الأخلاق ودورها في بناء الفرد ورقي المجتمع، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع- عمان، 2017، ص 20.

3- أحمد فاروق أحمد حسن، تحليل سوسيولوجي لأزمة القيم بين الشباب المصري دراسة ميدانية، المجلة العلمية بكلية الآداب بقنا جامعة المنيا- مصر العدد رقم 26، 2009، ص 81.

4- عبد الله عبد الرحمان صالح، منظومة القيم محرك السلوك الإنساني، الكتاب التوثيقي لندوة الغدارة بالقيم المنعقدة بمهد الإدارة بتاريخ 28 و29 دجنبر 2003، عمان.

5- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (وجه)، ج 6، ص 88.

6- ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 557.

وبالتالي فالاتجاه مأخوذ من وجه واتجه، والجهة والوجهة جميع الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده.

ب. ب- الاتجاه في الاصطلاح:

هناك عدة تعاريف للاتجاه أذكر بعضا منها على الشكل الآتي:

الاتجاه حسب معجم علم النفس والتحليل النفسي هو:" حالة من الاستعداد العقلي والعصبي (ألبورت) التي تكونت خلال التجارب والخبرات السابقة التي مر بها الفرد والتي تعمل على توجيه استجابته نحو الموضوعات والمواقف المتعلقة بالاتجاه وتكون هذه الاستجابة بالموافقة أو المعارضة أو المحايدة والتي تترجم كميا بهدف القياس."[1]

- عرفه العتوم بقوله : "الاتجاه هو استعداد عقلي مكتسب ينظم استجابات الفرد نحو موضوعات أو مواقف معينة، ويحدد طريقة تفكيره ومشاعره وسلوكه تجاهها"[2]
- أما ألبرت شيريف فقد عرف الاتجاه بكونه:" تنظيم مستمر للعمليات المعرفية والانفعالية والنزوعية المتعلقة بموضوع أو موقف اجتماعي معين"[3]

تعريف حامد زهران:" الاتجاه هو تنظيم معرفي–انفعالي–سلوكي مكتسب، يعبر عن نظرة الفرد وتقييمه لموضوع أو موقف، ويوجه سلوكه نحوه بطريقة إيجابية أو سلبية."[4]

- عرفه ايجلي وتشكرز أنه: "ميل نفسي يعبر عنه بتقييم لموضوع معين، بدرجة أو بأخرى من التفضيل أو عدم التفضيل ويشير التقييم إلى الاستجابات التفضيلية المعرفية والوجدانية والسلوكية سواء كانت صريحة أو ضمنية."[5]
- عرف حسين محمد صديق الاتجاه بأنه: "مفهوم ثابت يعبر عن درجة استجابة الفرد لموضوع معين استجابة إما بالإيجاب أو الرفض، نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل المعرفية والوجدانية والاجتماعية والسلوكية تشكل في مجملها خبرات الفرد ومعتقداته وسلوكه نحو الأشياء والأشخاص المحيطة به. "[6]

يظهر من خلال التعاريف أن الاتجاه له طابع نزوعي، يعبر عن اهتمام الفرد بموضوع معين نابع عن المواقف التي يتخذها نتيجة لعوامل متنوعة، أي أن مجموع هذه المواقف في قضايا مختلفة هو الذي يكون الاتجاه ويكشف عن وجهته. لخصت الأستاذة سعاد جبر سعيد الفروق بين الاتجاه والقيمة في عدة نقاط أهمها":

- القيمة أعم من الاتجاه؛ فهذا الأخير هو منظومة من المواقف، في حين الاتجاه هو منظومة من الاتجاهات، وبالتالي القيمة أشمل وأوسع مدى.
- الاتجاه كما تم تعريفه في البحث حالة سلوكية، فهو منظومة من القيم، أكثر قابلية للتغير، في مقابل الثبات النسبي للقيم.

1- فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية- بيروت، ط 1، 1989، ص 11.

2- العتوم محمد، علم النفس الاجتماعي، دار المسيرة، عمّان- الأردن، 2002.

3- Sherif, M., & Sherif, C. W. (1967). Attitudes as the individual's own categories : The social judgment- involvement approach. In C. W. Sherif (Ed.), Attitude, ego- involvement, and change.)

4- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي لحامد زهران، عالم الكتب- القاهرة، ط 5 ، 1984، ص 136.

5- Eagly, A., & Chaiken, S. (1993). *Educational encyclopedia*. Available at: www.educationalencyclepedia

.Gee, J. (2006). *The winners attitude*. McGraw Hill ; 1 st edition

6- صديق حسين محمد. "الاتجاهات من منظور علم الاجتماع". *مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية* مج. 28، ع. 3- 4 (2012): ص 299.

- القيمة غاية نهائية في حين الاتجاه حالة ووسيلة.
- إمكانية تمثيل القيمة الواحدة لعدة اتجاهات؛ بحيث تتمظهر ضمن اتجاه يختلف من فرد إلى آخر حسب تفسيره للقيمة.
- تعد القيمة معيارا، بينما الاتجاه ليس كذلك، لأن الاتجاه حركة معياره القيمة.
- عدد القيم أقل من عدد الاتجاهات، لأن مصدر القيم عقائد شخصية التي تتصل بالسلوك، في حين مصدر الاتجاه التعامل مع الأشياء والمواقف.
- القيمة روح الاتجاه وهذا الأخير هو الجانب الفعلي للقيمة.
- ترتبط القيم بتحقيق الذات أكثر من الاتجاه."[1]

ثالثا: القيمة والحاجة

تباينت تعريفات الحاجة حسب التخصصات والحقول العلمية ووجهات نظر الباحثين والدارسين، نذكر منها:

" الحاجة هي كل ما يحتاجه الفرد من أجل الحفاظ على حياته، وإشباع رغباته المتنوعة وتوفير ما هو مفيد لتطوره ونموه."[2]

كما عرفها مان ميشيل الحاجة بأنها": العوز حالة أو أمر يضع الفرد في موقف صعب أو محنة بما يشعره والرغبة الى شيء ضروري."[3]

من التعريف أيضا التي عرفت بها الحاجة ": كل ما يفتقر إليه الكائن كحالة من النقص أو الافتقار الجسمي والنفسي والاجتماعي، وإن لم تلق إشباعا وأثارت نوعا من التوتر والضيق يستلزم وجود قوة دافعة تحفز على الإشباع."[4]

إذا فالحاجة حالة من النقص أو الافتقار (سواء كان جسمياً، نفسياً، أو اجتماعياً) تنتاب الفرد وتؤدي إلى اختلال توازنه الداخلي. مما يشكل قوة دافعة تجعله يبحث عن إشباع ذلك النقص.

يرى ماسلو[5]، أن مفهوم القيمة مساو لمفهوم الحاجة، فيما يرى البعض أنها تقوم على الأساس البيولوجي فقط، يقسم بعض الباحثين القيم بالنسبة إلى الحاجات إلى نوعين:

القيم الأولية: تتعلق بالحاجات البيولوجية، والقيم الثانوية التي تختص بالجانب الأخلاقي والاجتماعي.

يشير معظم الباحثين إلى أن القيمة أسمى من الحاجة وأرقى منها، مثل الصيام، فالصائم في حاجة إلى الطعام، لكنه يحبس نفسه عن الأكل طواعية لقيمة أسمى وهي طاعة الله عز وجل، يرى البعض أن الحاجة تتحول في الدماغ إلى حاجة روحية ، أي موع من التمثل المعرفي لكي تتحول إلى درجة القيم ؛ ومن هنا فقد تكون الحاجة أحد

1- سعاد جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في السوك الإنساني، عالم التربية، العدد 21 التربية على القيم، 2012، ص 139.

2- أبو زيد وصافيناز محمد، تقدير حاجات المعاقين المودعين بمؤسسات رعاية الأيتام. دراسة مطبقة بمحافظة القاهرة، المؤتمر الدولي الخامس والعشرون لكلية الخدمة الاجتماعية بمحافظة حلوان، مصر، 2012، ص 12.

3- مان وميشيل، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل الهواري وسعد مصلوح، مكتبة الفالح، الكويت، 1992، ص 1.

4- أبو المعاطي ماهر، الاتجاهات الحديثة في التخطيط الاجتماعي. المكتب الجامعي الحديث، القاهر، 2010، ص12.

5- تدرج الحاجات أو تدرج ماسلو للحاجات أو هرم ماسلوMaslow's hierarchy of needs)) هي نظرية نفسية قدّمها العالم أبراهام ماسلو في ورقته البحثيّة «نظريّة الدافع البشري» عام 1943 في دورية «المراجعة النفسية» العلمية. ثُمّ وسّع ماسلو فِكرَته لتشمل مُلاحظاته حول الفضول البشري الفطري. تَتبع نظريَته فرعَ علم النفس التنموي الذي يدرس تطوّر ونمو الإنسان خلال المراحل المختلفة من حياتِه. وتناقش هذه النظرية ترتيب حاجات الإنسان ووصف الدوافع التي تُحرّكه؛ وتتلخص هذه الاحتياجات في: الاحتياجات الفسيولوجية، وحاجات الأمان، والاحتياجات الاجتماعية، والحاجة للتقدير، والحاجة لتحقيق الذات.

مصادر توليد القيم، لمنها لن تكون عين القيمة وليست المصدر الأوحد، بل المصدر الأهم هو الإحساس بالكرامة.[1]

الواضح أن القيمة أعلى من الحاجة وأشمل، رغم أن بينهما علاقة سببية، لكونها من مصادر القيم. الحاجة مصدر للدافع وتوليد توتر داخلي لتحقيق الأهداف، ممن الممكن أن تكون القيمة هي التصور القائم خلف الدافع؛ لكن قد لا يكون الدافع والحاجة قيمة، مثل الدافع للسرقة لإحساس الفرد بحاجة بيولوجية مثل الجوع أو اجتماعية بحثا عن الثراء والظهور.

خلاصة :

من خلال البحث أسجل مجموعة من الاستنتاجات أجملها في الآتي:

- أظهر التحليل المعجمي أن لفظ القيم يحمل شحنة دلالية ثرية يفيد معان كثيرة منها: الثبات والدوام والاستمرار على الشيء، وعماد الأمر، وقيمة الشيء وثمنه، والعزيمة والاستقامة والعدل والاعتدال وقد انتقل إلى معان أخرى تفيد القدر والمنزلة ومعايير معنوية مثل ما في الأشياء من خير وجمال.
- إن القيمة ليست كلاً جامدا، بل هي منظومة ثلاثية الأبعاد متكاملة وظيفياً (بنية معرفية تصنع الفكر والوعي، وبنية وجدانية تذكي العاطفة والارتياح، وبنية سلوكية تترجم ذلك في مواقف ملموسة)، وأي اهتزاز أو انفصال بين هذه الأبعاد يثمر بناءً قيميّاً منحرفاً أو ممارسات سلبية.
- العلاقة بين القيمة والخلق هي علاقة عموم وخصوص؛ فالقيم أوسع نطاقاً (تشمل الأخلاق والجماليات)، والخلق يمثل الامتداد التطبيقي الراسخ والتلقائي للقيمة في النفس البشرية.
- تتميز القيم عن الاتجاهات بكونها أكثر ثباتاً وشمولية، وتمثل غايات ومعايير حاكمة؛ في حين أن الاتجاهات بمثابة وسائل ومواقف مرنة وأكثر عرضة للتغير.
- تترفع القيمة وتسمو فوق الحاجة؛ فالحاجات تنبع من نقص وافتقار بيولوجي أو اجتماعي لإعادة التوازن، بينما تمثل القيمة معايير نوعية قد تملك كبح جماح الحاجة طواعية في سبيل مثل عليا (الصيام نموذجا).
- ضرورة إعادة النظر في البرامج التربوية المعنية بتعليم القيم، والتركيز على البنية الثلاثية المتكاملة (معرفة، وجدان، سلوك) بدلاً من الاختزال المعرفي التقليدي الذي يلقن القيم دون غرس الالتزام الوجداني والممارسة الفعلية؛ ومثال ذلك طالب يحصل في تقويم مادة التربية الإسلامية على العلامة الكاملة لكن لا ينعكس ذلك على سلوكه في المجتمع.
- تعزيز المشهد الثقافي والإعلامي الذي يبرز دور القيم الكونية باعتبارها أدوات بناء وحضارة لحماية المجتمعات من الطغيان المعرفي المنفصل عن الضوابط القيمية والتقوى.
- هذا المقال العلمي مقدمة لبحث متعمق ودراسة تطبيقية دقيقة للغوص في هذا المفهوم، وإبراز تطبيقاته العملية في المنهاج الدراسي المغربي وربطه بالتنشئة الاجتماعية.

1- سعاد جبر سعيد، القيم وأثرها في السلوك الإنساني، عالم التربية، العدد 21 التربية على القيم، 2012، ص 141.

المراجع العربية:

1. القرآن الكريم برواية ورش
2. ابن فراس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ط 2، 1972، ج 5.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 3، 1414، ج 12.
4. أبو المعاطي ماهر، الاتجاهات الحديثة في التخطيط الاجتماعي. المكتب الجامعي الحديث، القاهر، 2010.
5. أبو حامد الغزالي، حياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت،1982، ج 3، ص 53.
6. أبو زيد وصافيناز محمد، تقدير حاجات المعاقين المودعين بمؤسسات رعاية الأيتام. دراسة مطبقة بمحافظة القاهرة، المؤتمر الدولي الخامس والعشرون لكلية الخدمة الاجتماعية بمحافظة حلوان، مصر، 2012.
7. أحمد فاروق أحمد حسن، تحليل سوسيولوجي لأزمة القيم بين الشباب المصري دراسة ميدانية، المجلة العلمية بكلية الآداب بقنا جامعة المنيا- مصر العدد رقم 26، 2009.
8. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ار العلم للملايين - بيروت، ط 4، 1987، ج 5.
9. حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي لحامد زهران، عالم الكتب- القاهرة، ط 5 ، 1984.
10. خالد عبد الرحمن أحمد، الأخلاق ودورها في بناء الفرد ورقي المجتمع، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع- عمان، 2017.
11. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط 1، 1413ه.
12. زاهر ضياء، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي كلية التربية جامعة عين شمس- القاهرة، 1984.
13. سعاد جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في السوك الإنساني، عالم التربية، العدد 21 التربية على القيم، 2012.
14. صديق حسين محمد. "الاتجاهات من منظور علم الاجتماع". *مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية* مج. 28، ع. 3- 4 (2012).
15. عبد الله عبد الرحمان صالح، منظومة القيم محرك السلوك الإنساني، الكتاب التوثيقي لندوة الغدارة بالقيم المنعقدة بمهد الإدارة بتاريخ 28 و29 دجنبر 2003، عمان.
16. العتوم محمد، علم النفس الاجتماعي، دار المسيرة، عمّان- الأردن، 2002،
17. علي مصطفى أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، 1998،
18. فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية- بيروت، ط 1، 1989.
19. فريق البحث بالمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية، موسوعة منظومة القيم الكونية في القرآن الكريم أسسها المعرفية والمنهجية وتطبيقاتها الوثيقة الناظمة- المعهد الإسلامي للفكر الإسلامي - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية- ط 1- 2026.
20. فهممي محمد علوان، القيم الضرورية وتعاصر التشريع الإسلامي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 1985.
21. مان وميشيل، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل الهواري وسعد مصلوح، مكتبة الفالح، الكويت، 1992.
22. محمد جميل بن علي الخياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، سلسلة البحوث التربوية والنفسية جامعة

أم القرى- مكة المكرمة، 1996.

23. محيي الدين أحمد حسين، القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف- القاهرة، 1981.

المراجع الأجنبية:

1. Eagly, A., & Chaiken, S. (1993). *Educational encyclopedia*. Available at: www.educationalencyclepedia Gee, J. (2006). *The winners attitude*. McGraw Hill ; 1 st edition.
2. Sherif, M., & Sherif, C. W. (1967). Attitudes as the individual's own categories : The social judgment- involvement approach. In C. W. Sherif (Ed.), Attitude, ego- involvement, and change.)